

الفصل السابع

علم أبناءك جيداً

طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ كشريك لك في التربية

ذات يوم، عندما كان "ماركوس" في سن الخامسة، قال لي :

- عندما أكبر يا أمي ... لن أخبرك بالمكان الذي سأعيش فيه ...

لم يبدو في كلامه هذا أية إمارة على الحقد أو الضغينة، ومازلت أتذكر الابتسامة البريئة التي علت أسارير وجهه وهو يتحدث معي شاعراً بالسرور والابتهاج وكأنه قد نال "إعلان تحرير العبيد" emancipation proclamation. ومع ذلك فلا أزال أشعر بالمرارة. لقد قضيت كل يوم من أيام حياة "ماركوس" وأنا أهبه كل ما لدي من حب وحنان فقط لأكتشف في النهاية وبطريقة مرتجلة أو عشوائية أن رد الصنيع لم يكن سوى عدم الولاء لمدى الحياة.

أتذكر وأنا أخاطب نفسي قائلة : "أوه ... هذا الشيء المدلل يكبر ليصبح صعب المراس". وبعد قضاء عشرين عاماً في عملي أستطيع أن أعترف بأن التربية هي العمل الأكثر صعوبة في العالم كله. إنها يمكن أن تقلل من شأنك كثيراً، ويمكن أن تخرجك عن شعورك لتجرب الغضب كل يوم، ويمكن أن تحطم قلبك، كما يمكن أن تفيض عليك بمشاعر الود والفخر والمرح.

لست متأكدة تمامًا إن كانت التربية شيئًا يسيرًا، ولكن لكي يتاح لنا المزيد من الوضوح والانسجام والهدوء، فإن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ يمكن أن تجعل التربية أمرًا أكثر يسرًا فتبرنك من الذنب والريبة وتبني لك الثقة في كل من الاتجاهين: تربية الطفل ودعم تلك التربية.

وإليك أفضل ما في تلك الطريقة؛ يمكن لطريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ أن تجعل حياة الأسرة ممتعة. ففي الواقع، أستطيع أن أؤكد أن تلك الطريقة هي المسنولة عن إحدى أفضل الضحكات التي استمتعت بها. وقد حدث ذلك عندما كبر "ماركوس" الصغير وأصبح فتى في سن السادسة عشرة. كنا عاندين للبيت معًا بعد ممارسة السباحة بعد ظهر يوم من الأيام عندما التفت إلي بدون أية مناسبة وعانقتني، ثم قال لي :

- أتعرفين يا أمي ... عندما أتزوج .. ربما يمكنك أن تنتقلي للعيش معي في منزلي وتقومين بتربية أطفالي ... سيكون هذا الأمر شيئًا رائعًا ...

أمي في الوسط

شرعت في تنفيذ القرارات المحتملة لطريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ فور عودتي من هاواي مباشرة، وكانت حادثة تنورة الرقص لا تزال عالقة في ذهني. ومع ذلك فقد ظل أحد استخدامات تلك العملية هو الاستخدام المفضل لدي. ذات صباح - بعد أن أصبحت مطلقة بفترة ليست طويلة - وعدت أطفالي بأنني سوف أعود إلى المنزل في الوقت المحدد لإعداد العشاء، وأكثر أهمية من ذلك لمشاهدة المسلسل الهزلي "مالكولم في الوسط". كان الأطفال يضحكون من هذا العرض لأن "مالكولم"،

الماكر الصغير، دائماً ما ينهي الحلقة بحصوله على ما يريد في الحياة بالرغم من التدخلات المجنونة من قبل أسرته. وقد أحببت هذا المسلسل لأن والدته "مالكولم" أحياناً ما تصاب بنوبات ما يسمى بالغضب الجامح وهي نوبات كانت محببة إلى قلوب أطفالها.

في ذلك المساء عندما كنت ألمم محتويات حقيبة يدي داخل المكتب، لحقت بي رئيستي في العمل وقالت لي :

- لدي أخبار سيئة ... لقد ضاع ملف متعهد النقل ... أود أن تسهري الليلة في المكتب ...

قلت لها وأنا في أستشيط غضباً :

- أسهر ؟ ... كيف أسهر ؟ ..

فأجابتنى بنبرة اعتذار :

- لبضع ساعات فقط ... أسفة لك حقاً ... لكنه أمر طارئ ...

الآن، أصبحت قيمي كأم واضحة وجليّة لي في تلك اللحظة بالذات من حياتي. كنت أعتقد بشدة أن مسئوليتي الرئيسية هي أن أعلم أطفالتي الطيبة كإحدى سمات الشخصية، وهي سمة تعني العطف والأمانة والأصالة. كنت أعتقد أيضاً أن الأطفال سيجدون نفعاً عندما يتمتع والداها بحياة سعيدة وذات مغزى، وهذا ما جعلني أقبل وظيفة دائمة. كانت قيمتي الأخيرة كأم تتمثل في الاحترام المتبادل. ربما تصارع بعض الأمهات من أجل أن تنال العشق أو الطاعة. أما أنا، فكانت رغبتي أن أبني أسرة تستطيع أن تتحاور.

في الدقائق العشر، سيكون هناك المزيد من الحديث والجدل. وربما يكون هناك أيضًا المزيد من التذمر الأتني وكان الجميع يقولون: "لقد وعدتينا يا أماه" و"لماذا يتخذ العمل الأولوية لديك دائمًا؟" من ناحية أخرى، ربما يكون لسهري في العمل رد فعل إيجابي لدى رئيستي لأنها تمتعت بتواجدي عند حاجتها إلى ذلك.

في الشهور العشرة، سوف يكون عملي هذا مشكوراً أو يستحق المدح، كما أنني أستطيع أن أؤكد أ، رئيستي سوف تظل تضع في اعتبارها موافقتي على السهر في العمل إرضاءً لها. وفي المنزل، سيظل أطفالي يشاهدون مسلسل "مالكولم".

في عشر سنوات، يعتبر قراري موضع نقاش. فسهري في العمل أو ذهابي إلى المنزل إنما هو مجرد قرار بسيط يدور حولة ليلة بسيطة ولن يؤثر ذلك في أي شئ على الإطلاق. فجأة أصبحت مشكلتي ليست بسيطة. فالمستقبل الذي يمكن التنبؤ به لحياتي المهنية لا بد أن يعارض رغبات أطفالي الملحة. على أية حال، إن ذلك درس ليس سيئا من وجهة نظري. ذهبت على الفور إلى رئيستي أخبرتها بأنني اتخذت قراراً بالسهر في المكتب لأداء العمل المطلوب وما كان منها إلا أن عبرت لي عن شكرها.

استخدام ١٠ - ١٠ - ١٠ كاستراتيجية

بعد هذا الحدث مباشرة، شرعت في التحدث عن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ مع صديقاتي من الأمهات العاملات وكن قد بدأت فعلاً في تبني الطريقة. استخدمتها واحدة منهن لتقرر ما إذا كان يمكن أن تقبل توصل ابنها للتخلي عن برنامج العلوم

الإضافي بمنهج الدراسة، واستخدمتها أخرى لتسوية خلاف بينها وبين ابنتها المراهقة حول الخطط الصيفية. لقد أخبرني هؤلاء النسوة وغيرهن الكثيرات أن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ جعلت من قرارات التربية الشائكة أمرًا أكثر بساطة وأكثر كفاءة.

بمرور الوقت، أدركت أن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ تعد استراتيجية تربية تستخدم داخل المنزل ولديها القدرة الكبيرة على إيقاف عمل الإحساس الباطن أو الحد منه. بعض القرارات التربوية الأسرية توفر الوقت لك للتأمل، ولكن الكثير منها لا يوفر مثل هذا الوقت. لحسن الحظ يمكنك أن تجري تحليلًا قائمًا على طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ في نفس كم الوقت الذي تستغرقه في التفكير بأسلوب عشوائي لتعلن استسلامك في نهاية الأمر. كما يمكنك أن تعرض السبب المنطقي وراء اتخاذك قرارًا ما في نفس كم الوقت الذي تستغرقه لعرض الأسباب الاستبطنية. تذكر " ناتالي "، الأم التي كانت تحاول أن تقرر ما إذا كانت جنازة أحد أقاربها. كان أحد أبنائها يدفعها إلى توصيله بالسيارة إلى مباراة الكرة، وكانت كل غريزة لديها توحى لها بأن تستسلم للأمر، لكن في أقل من دقيقتين اثنتين توصلت إلى قرار أكثر دقة. فلو أرادت أن تعلم أبنائها قيم المسؤولية والاحترام، فعليها أن تطبق تلك القيم على أفعالها. وذهبت لحضور المراسم فعلا.

عقدة الذنب

على أيه حال يمكن أن تغير طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ القرارات الخاصة بالتربية الأسرية لسبب آخر وهي تعتبر تربية ثقافة العصر حول الأمومة التي تزرع الشك والريبة والشعور بالذنب في عقولنا وفي حياتنا. إنه الشعور بالذنب. فلو كنت أبًا أو

كنت أمًا ولم يكن لديك مبدأ متناغم تسير وفقا له مثل طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ فسوف يكون الشعور بالذنب رفيقك مدى الحياة.

لن يكون ذلك أمرًا يسيرًا إذ أن المجتمع الأمريكي اليوم ينشغل في جدال مستمر حول الأسلوب الصحيح لتربية الأطفال، ويشمل الجدل مشكلة رئيسية وهي: "هل ينبغي على المرأة أن تبقى في بيتها أم تذهب إلى العمل، أم كليهما معًا؟" لقد تصدرت ما تسمى " معارك الأمومة " صفحات العديد من الكتب والمجلات وحتى الإعلانات والواقع الشبكية.

رغم ذلك لن تضطر إلى الدخول إلى شبكة الإنترنت لكي تدخل ميدان النزاع. لن أنسى أبدًا حفلة " الكوكتيل " التي حضرتها حيث بدت إحدى الأمهات - وكانت ربة منزل - غاضبة من رواية كنت أسردها عن مهنتي، وسأدعو هذه المرأة "ليليان"، إلى درجة أنها قاطعتني بنبرة حادة قائلة :

- أنتن أيتها الأمهات العاملات ... تعتقدن أنكن تمثلن أهمية ... إن هذا الأمر يقتلني ...

فرددت عليها بصوت عالٍ :

- لا أعتقد ذلك ..

ولكن "ليليان" لم تشعر نحوي بالارتياح فقالت باشمزاز :

- بل أنتن كذلك ... فأنتن تعتقدن بأن الأمهات غير العاملات مثلي لا يلعبن أي دور في هذا العالم ... كما تفعلن ..

اعترضت عليها مرة أخرى، ولكنها أشارت لي بيدها وكأنها تنهمني وأردفت :

- إنكن تدخلن إلى مكاتبكن ومعكن صديقاتكن العاملات وتسخرن ممن هن مثلي قائلين : "ماذا يفعل هؤلاء الأمهات طوال النهار؟" ... إنكن تعتقدن أننا تافهات .. أليس كذلك ؟

كان ردي للمرة الثالثة هو الإنكار، فنحن نحضر "حفل كوكتيل" ولا يستحق الأمر عناء الخلاف، ولكن "ليليان" استطاعت أن تدخلني إلى حلبة الصراع. في نهاية الأمر، قلت لها :

- إن ربات البيوت يسببن الارتباك والقلق للأمهات العاملات ...
فردت قائلة :

- بل أنتن اللاتي تسببن القلق لأنفسكن بعدم سماعكن لما يقوله شعوركن بالذنب ... سادت كلمة " الذنب " جو المكان برهة قبل أن أقوم بمحاولة أخيرة عاجزة، فقلت لها:

إن أخواتي يمكنن مع أطفالهن بالمنزل ... وهن يشعرن بالذنب لأنهن لم يعلمن
كما أشعر بالذنب تمامًا لأنني أعمل ...
فقالت " ليليان" بصوت تملؤه الريبة ك
- أشك في ذلك ...

جاء دوري إذا للتذمر. فعلى ما يبدو، لا يوجد أساس مشترك بيننا. فافترقنا ولكن رغم أنني لا أعرف الكثير عن " ليليان" ولا عن تفكيرها أو أسلوب حياتها، إلا أنها قد خلفت بداخلي آثارًا أوحث لي أنني لا أختلف كثيرًا عن أي أم في هذه الأيام ...
أم تفضل الدفاع عن نفسها، ولكنها غير راضية.

الحزام الأسود في الثقة

إن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ هي رفيقك، كما أنها تعد طريقة فعالة أيضًا عند استخدامها للرد على الأسئلة التي لانهاية لها من أجل التخلص من مثل تلك المشاعر من جذورها.

بعد مرور عام أو عامين على ما أسميته "مالكولم في الوسط"، كانت طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ لا تزال فاعلة، ولكن كانت تلوح في الأفق ترقية جديدة لي في عملي. بسبب ذلك، اقترحت رئيستي أن أتمسك بكل فرصة تجسد التزامي بخدمة المؤسسة التي أعمل بها. وقد فعلت ذلك فعلاً دون أن أترك أي أثر على البيت.

ذات يوم، طلب مني أن أعد ترتيبات لإجازة أسبوعية خارج موقع المؤسسة. كان موعد الإجازة يتوافق مع نفس اليوم الذي سيذهب فيه "روسكو" - كان حينئذٍ في سن الثانية عشرة - لحضور اختبار الحزام الأسود للصغار، وكان ذلك الاختبار يمثل لنا أمراً في غاية الأهمية والذي كان سيقام بالمركز الرئيسي للكراتيه في هامبشاير أمام لجنة من الحكام المعتمدين. إنها لحظة من أهم اللحظات في حياة "روسكو"، وقد عرفت ذلك لأنه في كل مرة يذكر لي "روسكو" هذا الاختبار، كانت تنتفخ أوداجه، ويميل وجهه إلى الاحمرار، ثم يخفت صوته وكأنه سيغمى عليه.

خلال عشر دقائق، أعلم أنه ليس ثمة من مفر. فالموافقة على إعداد الموقع كان يمثل تقدماً كبيراً في حياتي المهنية، ويمثل خسارة كبيرة "لروسكو" الذي سيسعر

حينئذٍ بالضرر و الحيرة. ألم أظل أذكر له لعدة سنوات كم أعجب بأدائه وانتظامه اللذين كرسهما للكراتيه؟ لماذا سيكون هو الطفل الوحيد الذي لم تحضر أمه معه لتشاهده؟

في عشر شهور، سينطبق نفس الشيء. نعم، سوف أعمل بجدية أكثر مما قبل لأعوض عن غيابي عن الشركة لوجودي في الموقع الآخر. أما عن السنوات العشر، فثمة رؤية ذهنية واضحة. لقد توصلت إلى أنه في المستقبل القريب سوف أنال المزيد من الفرص الكبيرة ولن يتأتى ذلك من خلال إعداد موقع خارجي واحد، بل سيكون هناك سابق مستمر لكي أحصل على المزيد. ومع ذلك فإن "روسكو" سيحصل على الحزام الأسود مرة واحدة. وفي خلال عشر سنوات، سيكون بعيدًا عن المنزل حيث سيدرس في الجامعة. ووقتًا حتى يحين ذلك إما أن يكون ثمينًا أو غثًا. ولا يمكن أن أنكر أن ثمة فرصة كبيرة لأن يكون الوقت هو النوع الثاني إذا ما اخترت أن أتخلى عن "روسكو" في أول أكبر فرصة من فرص حياته. وربما لا يثق في وعودي بعد ذلك.

خلال تلك الإجازة الأسبوعية وأنا أشاهد "روسكو" وهي تنتقل بين الكاتات⁽¹⁾ واحدة تلو الأخرى، لم أشك ولو للحظة واحدة في أنني اخترت المكان الصحيح بالقرار الصائب. فحضورى اختبار الحزام الأسود "لروسكو" كان يمثل نقلة مختلفة ١٨٠ درجة بشأن "مالكولم في الوسط". رغم أن قيمى لم تتغير، إلا أن طريقتي في تقييم تلك القيم قد تغيرت.

(1) الكاتة Kata هي مجموعات من عدد معين من المجموعات التي يتكون منها كل مستوى من مستويات رياضة الكاراتيه (المترجم).

تربية قابيل

منذ بضع سنوات، كنت متشوقة جدًا عندما قرأت كتاب " فريضة التنشئة : لماذا يحيد الأطفال عن الطريق الذي يمهدهونه ؟ " والذي ألفته خبيرة علم نفس النمو "حوديث ريتش هاريس". فالفكرة الرئيسية المثيرة للكتاب يمكن أن تجعل كل أم أو أب يتوقف ليفكر في ظل بيئة اليوم. إن الفكرة تؤكد أن سلوك الأطفال يشكل أساسًا بناءً على جيناتهم الوراثية بالإضافة إلى قيم أقرانهم. وتذكر " هاريس" أيضًا أن الوالدين ليس لهم الفضل في الطريقة التي يتصرف بها أبناؤهما، كما أنهما لا يسحقان اللوم أيضًا.

لبيتنا جميعًا نتفق على هذا !! إذا لأرحنا قلوبنا. ولكن بدلًا من ذلك توجه ثقافتنا الشائعة رسالة مختلفة مفادها " أن الوالدين المثاليين ينجبان أطفالًا مثاليين وأما الوالدان المنحلان فيحصدان ما زرعنا ". فعلى شاشة التلفزيون أطل علينا كل من الدكتور " فل" والدكتورة " لورا" وهما يوبخان أولياء الأمور بصورة يومية. وكل مكتبة لبيع الكتب تعج بأكوام المتخصصة في تربية الأطفال بالأسلوب الصحيح. ولا تنس صفحات المجلات المخصصة لعرض مهارات " بريتي سبير" في الأمومة.

إن الضغوط المتواصلة لإعداد جيل من الأطفال الخارقين super-children يمكن أن تؤثر حتى على الأمهات اللاتي يرون في شخصية الطفل القيمة العليا. إنني أعتزف بأنني – لعدة سنوات – كنت أقول لنفسي لا أهتم بدرجات أطفالي ولا بشهاداتهم العلمية طالما أنهم يثبتون بأنهم شباب صالحون. لكن كان يجب أن

تراني عندما كان " روسكو " ينافس على بطولة المصارعة في المدرسة الثانوية. كنت أنادي عليه بصوت عال وأنا أشعر بقمة البهجة لكي يفوز، ولكن بعد المباراة، اضطر "جاك" إلى أن يستعمل ملح "النشادر" حتى يستطيع إنقاذي. وعندما خسر "روسكو" المباراة في الجولة السادسة، اضطررت إلى التزام الصمت والجلوس في مقعدي.

بعد ذلك، ساعدني أحد أصدقائي- وكان يعمل طبيباً نفسياً – على أن أفهم سلوكي الرهيب، فقال لي :

- إن الأمهات في هذه الأيام ينافس بعضهن البعض باحتفاظهن بسجل إحراز أبنائهن ومن المستحيل ألا يربين أطفالهن بأسلوب مثالي خاصة وأن المجتمع قد منحهن هذا الحق .. ثم طلب مني أن أنادي على " روسكو " وأعتذر له عما بدر مني عندما أخبرني بأنه سوف يعتزل المصارعة. إنني أضع في اعتباري أن أنفذ فعلاً هذا "الفرمان العالي" الذي يتسم بالعقلانية ... يوماً ما.

مقعد بجوار المائدة

لقد لاحت فكرة المقعد الآخر وسط هذه الفوضى وكأن الجدل حول تربية الأطفال لم يخلق جواً مشحوناً يكفي لئلا تظهر مشكلة أخرى. لقد انتهى زمن نموذج " الأمر والسيطرة " التربوي منذ فترة طويلة، وهو أسلوب يفترض أن الأب يعرف كل شيء، وأن الجميع دونه يجب أن يلتزموا الصمت. ففي هذه الأيام يعتبر الأطفال أنفسهم كباراً أو ناضجين إذا ما بلغوا سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، ولذلك يطلبون مقعدهم على مائدة الحوار.

ما هو مصدر هذا المبدأ الافتراضي؟ من المؤكد أنه ينبع من الحقيقة أو البديهية التي تقول بأن الأطفال يعرفون عن الحياة وهم في سن مبكرة أكثر مما كان يعرفه الأطفال في الأجيال الماضية. كيف لا يمكنهم ذلك؟ يمكنك أن تحاول إغلاق جهاز التليفزيون، ويمكنك أيضاً أن تمنع الإنترنت من بيتك، ولكن لحسن الحظ أنك لن تستطيع أن تمنع كل مصادر الإعلام التي تملأ كل مكان خارج بيتك. لا أريد أن أبدو امرأة عجوزاً تشجب الشباب الضائع المتوقع " لأطفال اليوم". لكي أستطيع أن أجد سبباً شرعياً يبرر اعتقاد المراهقين بأنهم أناس كبار. إننا نعيش وسط اقتصاد يمثله كل من " ماري كيث" و" أشلي أولسن" اللذان كان نجمي أحد المسلسلات الهزلية حيث يديران مشروعاً بملايين الدولارات قبل أن يتخرجوا من المدرسة الثانوية. أما " مايلي سايروس" بطلة مجموعة المراهقين و" ليل باو واو " عازف موسيقي الراب المراهق فهما من أعمدة صناعة الموسيقى. لو أن مثل هؤلاء الشباب قد خضعوا لإشراف ومراقبة الكبار لما حقق أي منهم مكانته تلك في المجتمع.

لكن في عالم الواقع، هناك العديد من الكبار الذين تتجسد أدوارهم وتظهر وسط المجتمع فعلاً. ولأن هذا الظهور يبدو في هذا العصر أكثر تعقيداً وصعوبة مما قبل، فإن طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ تظهر كوسيلة أكثر ملاءمة تعمل على خفض "نشاز" الأقوال والتعليقات التي تصدر عن الخبراء والمتخصصين و"سليطات اللسان" وأولياء الأمور، وحتى تلك التي تصدر عن أبنائنا أيضاً، وذلك من خلال مساعدتها لك في انتقاء وتحديد خيارات تركز حول محور واحد، هو محور القيم الخاصة التي تتبناها كأساس للتربية الأسرية.

فتيات وضيعات

وجد "ريك" - وهو أب أعزب - نفسه في مأزق تربوي مؤلم عندما أيقظته مكالمة تليفونية " وقحة" تحذره من أن ابنته البالغة من العمر خمس عشرة سنة تنقلت من بين يديه. كانت " تينا " تلعب في فريق المدرسة لكرة القدم، وكانت تحصل على درجات عالية، لكن هوايتها كانت لعب " حرب العصابات" حسب قول "ريك". وكانت تقضي عدة ساعات كل ليلة أمام الكمبيوتر تتحدث عبر الياهو ماسنجر وتبدأ بالمعارك الكلامية مع الفتيات الأخريات. لم يكن سلوك " تينا " يعجب " ريك " ولكنه لم يستطع أن يمنعها من ممارسة تلك الهواية. لقد قال لي وهو يتذكر الماضي :

- قلت لنفسي إن كل الفتيات المراهقات يتصرفن كما تتصرف "تينا" ... واعتقدت أن حقارتها سوف تنتهي ...

بالطبع لم ينته هذا السلوك. وبعد ذلك ببضعة أسابيع، اتصلت والده " برايانا " وهي إحدى الفتيات المستهدفات من قبل " تينا " بريك وطلبت منه بأسلوب حاد أن يفعل شيئاً. شعر " ريك " بالخزي ليس فقط من التفاصيل التي كانت تحملها " تينا " عن أوصاف " برايان " على الفيس بوك والتي قرأتها والده "برايانا " لأنها منعت من الحديث قال لي " ريك " :

- لقد كنت أربي فتاة ذات شخصية سيئة ...

تحول " ريك " إلى طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ ليضع خطة عمل، بادئاً بالبحث في آرائه الخاصة. يمكنه أن يعاقب " تينا " بحرمانها من الكمبيوتر أو بإرسالها لتلقي

العلاج ليصل إلى جذور المشكلة بالرغم من أن سعر هذا الحل الأخير يسبب له مزيداً من القلق، أو أن تذهب لتعيش مع والدتها التي أقلعت أخيراً عن شرب الخمر.

بعد ذلك، أعاد "ريك" مراجعة قيمة. لقد ندم على أنه سبب اضطرابات عاطفية لأبنائه بسبب طلاقه من زوجته واعترف بأنه لا بد من عودة الجميع إلى العيش في منزل واحد. ثم شعر أيضاً برغبة في أن يعلم أطفاله القيم الشرقية القائمة على التواضع. مراهقة أخرى. لديها و أكثر لتقوله عن شأنها و حياتها كما لديه تماماً وأكثر. نجلس معها لمدة ساعة يتحاوران بطريقة ١٠ - ١٠ - ١٠.

استمر الحديث لمدة ساعتين : اتفق خلالها "ريك" وابنته على عدة شروط يمكن لكليهما العيش بها. يمكن "لتينا" أن تظل مع أبيها وتستطيع أن تستخدم الكمبيوتر. وقرر أن تخضع "تينا" للعلاج من عدوانيتها ضد "برايانا" والفتيات الأخريات. لكن قبل بداية تطبيق تلك الشروط، اتفقا على أن تكتب "تينا" اعتذاراً "لبرايانا" وتدعوها للعشاء. قال لي "ريك" مؤجراً :

- لقد وجدنا سوياً أفضل حل للأطر الزمنية الثلاثة ... لأن اهتمامي كله كان أن أعيد "تينا" إلى الطريق القويم حتى تحجم عن إيذاء الآخرين، كان لابد من مراقبة سلوكها على المدى القصير بالإضافة إلى طلب بعض الاستشارات على المدى المتوسط وال المدى البعير.

لقد أقر "ريك" بأنه قد اندهش وشعر بالسرور أيضاً من الآراء التي أضافتها "تينا" أثناء حوارهما معاً.

بعيداً عن نداء الواجب

كانت معاناة "ريك" وع "تينا" تتزايد وقد أيقظت بداخله اهتماماً حقيقياً بالأمر، ومع فإن هذا الاهتمام هو في الأساس جوهر الأبوة. فأبناؤنا دائماً ما يخرجون على الخط المرسوم لهم، ونحن الذين نعود بهم الى الداخل. ويخرجون مرة أخرى، ونحن ندخلهم بأسلوب أكثر صراحة. في معظم الأيام تبدو لنا مسألة تربية الأطفال مسألة يتق واطمئنان بأنهم يسرون وفقاً للقاعدة الذهبية التي تقوم: "اعمل من أجل الآخرين". وهم يدخلون في هذا الاختبار، ونحن نصححه لهم.

رغم ذلك، لسوء الحظ، هناك أوقات تذهب فيه التربية الأسرية إلى أبعد من حدودها إن كل أم أو أب دائماً ما يواجه أزمة ساحقة فعلاً مثل حمل فتاه في سن المراهقة أو القبض على ابن مخمور وهو يقود سيارته أو فقدان الابن إلي شهية أو ما إلى ذلك من أزمات.

بالنسبة "لانا" - وهي لثلاثة أطفال وتسكن في ضاحية ديترويت - كانت الأزمة التي تواجهها هي المخدرات.

بدأ ابنها "بوبي" تدخين الماريجوانا وهو في سن الثالثة عشرة. وعند بلوغه سن السابعة عشرة فصل من المدرسة وأقام مع مدمني المخدرات في نزل خاص بأحد الأحزاب داخل المدينة، وهي نقلة سببت عاصفة كبيرة داخل الأسرة. فقد فقدت ابنتها "كارا" تركيزها واهتماما بالمدرسة، وتحول ابنها "براين" نو السنوات الثمانية إلى ألعاب الفيديو وفي النهاية سحب كلاهما مرتبتهما وذهبا للنوم في البدروم ليبعدا عن ضجيج المشاجرات التي تتم بين الوالدين كل ليلة.

ظل "بوبي" لمدة خمس سنوات يزور منزل الأسرة ويمكث به لبضعة أيام في كل زيارة وهو يشكل خطراً واهماً، فكان يسرق الأموال، وأحياناً ما كان يضرب "برايان" دون أية أسباب. كانت الأسرة تواصل نظامها الروتيني من حيث ذهاب الأبناء إلى المدرسة وذهاب الوالدين للعمل، ولكن لم يكن ثمة شيء عادي خلف الأبواب. لم يتحدث "بوبي" مع "جاري" ولو بكلمة واحدة، بل كانت الكراهية تزداد في صدريهما. أما "برايان" و"كارا" فكان يعيشان حياتها في عام غير مرئي حيث يخرجون ويدخلون وهما سائران على أطراف أصابع الأقدام. ورغم ذلك فإن "أنا" كانت ترحب كل مرة بعودة "بوبي" إلى المنزل وتشعر بالراحة لأنه سيتخلى عن الشارع ولو لفترة.

في ظل كل تلك المعاناة، كان يسيطر على "أنا" سؤال واحد: ماذا لو توفي "بوبي"؟ ما الذي سيحدث للأطفال؟ إنها في حاجة ملحة إلى أن تسمع صوتها. وذات ليلة - وهي جالسة في غرفتها بمفردها - التفتت نحو طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ حيث اكتشفت من خلالها أن لديها قيمة قوية وواضحة. لا بد أن تنفذ "كارا" و"برايان" من هذا اليأس المخيم. كان خيارها الوحيد هو أن تجذبها إليها وتقترب إليها أكثر لتوحي لهم بالأمل في المستقبل، كما توحي لهم بالإحساس بأن لهم أمماً ترعاهما كما ترعي أخاهما الأكبر. فشرعت في حضور مباريات الكرة "لكارا" وشرعت في أن تسأل "برايان" عن واجباته المنزلية. وطلبت منها أن يعيدا مرتبة السرير إلى الدور الأول وأن يهجرا البدرود إلى الأبد.

الآن، بما أنها تواجه السؤال عما إذا كان ينبغي عليها السماح "لبوبي" بالعودة إلى المنزل مرة أخرى، بدأت تفكر في خياراتها ونتائج تلك الخيارات في خلال عشر دقائق وعشرة شهور وعشر سنوات.

خلال الإطار الزمني الأول، لن تستطيع أن تطرد "جاري" إذ أن غيابه سيحطم كلا من "كارا" و"برايان" وسيقضي على أية فرصة لإعادة بناء الأسرة.

خلال عشرة شهور، إذا ما كرست نفسها "لكارا" و"برايان" وأبعدت "بوبي" عن الأسرة، ربما تستطيع هي و"جاري" إعادة بناء الثقة بينها، كما أنها سيستطيعان الشروع في توفير بيئة يمكن للأسرة خلالها أن تبعث من جديد.

أما صورة السنوات العشر فتبدو مؤلمة "لأنا"، ومع ذلك فليس باستطاعتها أن تتجاهلها أبداً. لقد حاولت مراراً وتكراراً أن تنفذ "بوبي" دون جدوى. كما أنها تعلم أنه إما سيعيش أو سيموت ليس بسبب تصرفاتها، وإنما بسبب سلوكه الشخصي. إن أعظم هبة يمكن أن تهبها له ولأسرتها هي أن تغلق الباب في وجهه.

في تلك الليلة، أخبرت "أنا" "جاري" بقرارها. وطلبت منه أن يساعدها في تحقيق حلمها في إعادة تربية "كارا" و"برايان" كما كانت من ذي قبل. ما جعل "أنا" تشعر بالسعادة فعلاً هو التغيير الذي تم. فقد أخبرتني بأن طفليها قد قاما بإعادة المرتبة إلى الدور الأول مرة أخرى.

الانتظار الطويل للحب

بعد أن أنهيت المكالمة التليفونية مع "أنا" حمدت الله كثيراً لأن "أنا" قد تخلف من كابوس مخيم بفضل طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠.

رغم أن تفاصيل كل أزمة أو مشكلة تختلف كثيراً أو قليلاً، إلا أن الآباء الذين يعانون من سلوك مضطرب لأبنائهم في حاجة إلى عملية اتخاذ قرار حتى يتمكنوا

من عبور كل التحديات على مدى شهور أو سنوات. وهذه العملية التي يحتاجون إليها لا بد أن تتحمل ضغوط الرهبة والإحساس والغريزة.

كان "كونر" في سن الثانية عشرة عندما بدأت والدته "ماجى" تلحظ أن ثمة شيئاً غير عادي أو صحيح في سلوكه. ورغم أن "كونر" كان مرحاً إلا أنه كان يحب الخيال العلمي، وكن يغمر كلب العائلة العجوز بالحب. كان كثيراً ما يشعر بالضيق عند ركوبه الأتوبيس في الوقت المحدد، كما كان يشعر بالزعر لمجرد الاضطرابات البسيطة في النظام كنظام ترتيب الدرج الذي توضع فيه الجوارب مثلاً.

لاحظت "ماجى" أن "كونر" ينزلق إلى العمق شيئاً فشيئاً نحو بئر من القلق. وفي آخر الأمر، انتظرت أن يذهب إلى المدرسة ذات صباح، ثم قامت بالبحث عن إجابة لسؤالها قد يكن مدوناً في يومياته.

قالت لي "ماجى":

- أول عبارة قرأتها كانت: "أحتاج إلى أن ألمس الأشياء".. لقد أدركت أنه قد ورث المرض مني .. وكل ما أستطيع أن أفكر فيه هو: كيف استطعت أن أفعل ذلك؟ .. كيف فكرت في أن يكون لي أطفال؟ إنها أسوء لحظة في حياتي تقريباً...

بدأ صراع "ماجى" مع الوسواس القهري الاستحواذي عندما كانت طالبة مستجدة بالجامعة. بعد ذلك بعامين، تم تشخيص مرضها بأنه اكتئاب، ورغم ذلك، فقد بذلت مجهوداً جباراً حتى حصلت على وظيفة ناجحة في مجال الإعلان. واليوم تعتبر ذلك أحد انتصارات حياتها ولا أحد يعلم بأي شئ عن صراعها مع ما يسميه ويليام شايرون "الظلام المرئي".

عندما علمت "ماجى" بتشخيص مرض "كونر" كانت على وشك أن تستقيل من العمل. كل يوم كان يمر عليها كان يمثل لها كابوساً مزعجاً. كانت كل صباح تذهب إلى العمل ثم تخرج نم العمل لتذهب إلى المدرسة لتحضر "كونر" ثم لتذهب به إلى الطبيب حسب الموعد المحدد، ثم تعود به مرة أخرى إلى المدرسة، وتعود بعد ذلك إلى عملها مرة أخرى، وفي النهاية تهرع إلى البيت لتلتقي "بكونر" وابنتها الكبرى عند محطة الأتوبيس. ذات ليلة قالت "ماجى" لزوجها "روي":

- لا بد أن أوقف هذا النزيف ٠٠٠٠ لا بد لي من أن أكون بجوار "كونر" طول الوقت ٠٠٠

ألح "روي" على "ماجى" بأن تلجأ إلى طريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ وقد كانت تستخدمها في مشكلات العمل من قبل، وتطوع بأن يشاركها في دراسة قراراتها. لم تستطع "ماجى" أن تتعامل مع العشرة الأولى إذ أن فكرة استقالتها كانت تسيطر عليها، فأشار عليها "روي" بأن تتعامل مباشرة مع العشرة الثانية. ولكن النتيجة على ما يبدو لم تتغير. قالت "ماجى":

- تخبرني غريزتي بأن استقالتي هي الأمر المناسب لكونر خاصة في هذا الإطار الزمني ٠٠ الشهور العشرة ٠٠

انتقلت "ماجى" بعد ذلك إلى إطار السنوات العشر. قالت لي:

- أدركت أنه ليست لدي أية فكرة كيف سيكون حال كونر خلال عشرة أعوام ٠٠٠ لم تكن لدي أية معلومات كافية ٠٠

لقد استغرقت "ماجى" عقودًا حتى تشفى من الوسواس القهري الاستحواذي ومن الاكتئاب. ومع ذلك فقد دهشت كثيرًا لتفاؤل الأطباء. ففي خلال عشرة شهور. "كونر" بدأ يتلقى العلاج السلوكي والأدوية مرتين أسبوعيًا وقد تحسنت حالته سريعًا. وفي خلال عامين اثنين من المحتمل أن يختفي العجز الذي يعانى منه تمامًا ولن يتعرف عليه سوى أسرته وأصدقائه المقربين. قالت لي "ماجى" وهي ترى صور الماضي تترى أمام عينيها :

- كنت أتوقع من الأطباء أن يقولوا لي بأنه ينبغي علي أن أكون بجوار كونر في كل دقيقة ٠٠٠ ولكنهم وافقوا على عدم استئقالي من العمل ٠٠٠ وأوضحوا لي أن هذا المرض يجب أن يعامل مثل أي مرض آخر كمرض السكر أو الربو ٠٠٠ أي أن المساعدة للمريض يمكن توفيرها إذا اقتضى الأمر ذلك ٠٠٠

مر عام على قرار "ماجى" حتى الآن. و"كونر" الآن طالب يدرس بالصف السابع بإحدى المدارس المتوسطة يحيى أيامًا حسنة وأيامًا سيئة، ولكنه ينعم بأيام سعيدة أكثر. لقد اكتسب ثقة في الذات خاصة خارج المنزل حيث بدأ يمارس السباحة، كما التحق بأحد نوادي الشطرنج.

المواقف الإنسانية

كونك أبًا لا يعني إلا أن تتعلم كل يوم، كما يعني عدم الاستسلام إزاء تحديات حب الأطفال وترتيبهم. نعم، يمكن أن التخلي عاطفيًا عن تربية الأطفال شيئًا ممتعًا أو مغرًا إذا عواقب ونتائج القرارات الخاصة بالتربية لا بد أن تستغرق فترات طويلة حتى تتحقق وتتجسد. كما أن التداخلات والاضطرابات الثقافية بما تحمله لنا من

رسائل متباينة ومتناحرة يمكن في الغالب أن تجعل التربية الأسرية تبدو عملية محيرة، خاصة عندما يقول لك أبناؤك أنفسهم: "نشكركم ٠٠ إننا نعرف الكثير من العالم الذي نعيش فيه فنستطيع أن نتخذ قراراتنا بأنفسنا".

في مساء يوم من أيام الشتاء عندما "روسكو" طالبًا في السنة الثانية بالجامعة، وكان يقيم بمدرسة داخلية لاحظ أن "جوستين" الطالب المتجسد الأخرق الذي كان يقيم في الصالة أمامه يتصرف بأسلوب غريب. كان يبدو وكأنه على وشك أن يصرخ، كما يظل يقول بأنه سيذهب للنوم بصفو مستمرة حتى وأن كان الوقت لا يزال مبكرًا. أراد "روسكو" أن يتجاهل ما يرى فقد أنهكته رياضة المصارعة، كما أن لديه العيد من الواجبات. وفجأة وجد "روسكو" نفسه يسأل "جوستين" قائلاً:

- ما خطبك؟ ٠٠ على أية حال ٠٠ هل ستأتي إلى حجرتي؟ ٠٠ أود التحدث إليك ٠٠

بعد عدة سنوات، وصف لنا "جوستين" ما حدث في تلك الليلة في مقال كتبه وقرأه للجميع وحتى لي شخصيًا. فكتب يقول:

- بدأت أبكي ٠٠ لقد أخبرت روسكو بكل شيء ٠٠ أخبرت بما كنت أخطط لعمله ٠٠٠ عن الحبوب ٠٠ فقد كنت أكسها في أكوام ٠٠ إنني أتق أنه لم يكن سعيدًا ٠٠ ولكنه لم يظهر ذلك لي ٠٠ لقد قال لي روسكو إنه كان يبكي أحيانًا في عامه الأول بالجامعة ٠٠٠ وأخبرني أيضًا كم كان يشعر بالوحدة. ثم جلس روسكو بجواري واحتضني بيديه ثم وضع يده فوق رأسي وطلب مني أن أكون سعيدًا لأنه

لن يتخلى عني أبداً ٠٠٠ لقد أحسست بالصدافة لأول مرة في حياتي ٠٠ لقد ذهب عني الشعور بالوحدة ٠٠ كل ذلك يرجع إلى تلك المواقف الإنسانية.

أحياناً ما نتعلم من أبنائنا كيف نضع قراراتنا. ومع ذلك، فإن مهمتنا وسط هذا العالم الذي يزخر بالضوضاء والتعقيدات أن نعلم أبنائنا كيف يعيشون ويتخذون قراراتهم بأسلوب ملائم. وطريقة ١٠ - ١٠ - ١٠ هي وسيلةنا المناسبة لهذا الواجب العزيز.